وقفة مع الدكتور الآثاري «سليمان الذيب» بأن الأحباش من العرب

بقلم
أبي سهل
أحمد بن سليمان أبوبكرة التُرباني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد وصلني فيديو مرئي للدكتور سليمان الذيب ـ **غفر الله لنا وله** ـ يدَّعي فيه بأن «**الأحباش**» من العرب ومن الجنس السامي، وأن تلك الجغرافية المعروفة باسم «**الحبشة**» هي بالأصل نسبة لقبيلة عربية يمانية هاجرت إلى تلك الديار وسميت باسمهم: (**الحبشة**)**!**

وهي أقوال ظاهرة البُطلان، ولكن لما انبهر كثير من الناس بأقوال أهل الاستشراق ورأوا ـ **للأسف** ـ أنها هي الحق، وقاموا بتهميش أقوال علماء العرب، وجب علينا رد هذه المغالطات والكَّرُ عليها بأقوال أهل النسب، وكما قال أديب مصر محمود شاكر في «أباطيل وأسمار» (٢٤٨/٢): (**ولكني سأعلمك ما لم تكن تعلم، لتعلم بأن المؤرخين لم يقولوا شيئاً مما قلت إلا لأنه باطل من كل نواحيه**)، وقد ألف علماء الإسلام عن أهل الحبشة وساقوا أخبارهم وأحوالهم وما لهم وما عليهم، ومن أشهر تلك المؤلفات:

- **تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).**
- **جلاء الغبش عن لسان الحبش، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ).**
- **رفع شأن الحبشان، و أزهار العروش في أخبار الحبوش، وكلاهما للسيوطي (ت ٩١١هـ).**
- **الطرز المنقوش في محاسن الحبوش، لابن عبد الباقي البخاري (ت بعد ٩٩١هـ).**
- **الجواهر الحسان فيما جاء عن الله ورسوله وعلماء التاريخ في الحبشان، لأحمد الحفني القنائي (كان حياً سنة١٣٢١هـ).**

وكلهم ساقوا أحاديث: «**سام أبو العرب، وحام أبو الحبش. . .**» في مقدمة تعريفهم بنسب الأحباش، إلا أنه حديث ضعيف من حيث السند، وأما المتن فهو موافق لما اشتهر واستفاض عند العرب وأقوال أهل النسب.

وكانت العرب من أعلم الناس بهم، وقد أخبرنا نبينا ﷺ عن عدل ملكها وأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وكان على معرفة بلسانهم كما قال النبي ﷺ لأم خالد: **(يا أم خالد، هذا سناه)**[١]، يعني حَسنٌ بلغة الحبشة، وأخبرنا ﷺ عن جد الحبشة الأكبر ـ كما سيأتي ـ، وحذرنا ﷺ قائلاً: «**اتركوا الحبشة ما تركوكم**»[٢]، ولم نسمع من علماء الإسلام ـ **أهل النسب واللغة والبلدان** ـ قالوا بأن الحبشة أصلهم عرب وأن مسمى الحبشة نسبة لقبيلة منهم!

فجاء أهل الاستشراق ووقعوا على كلمة «**حبشيت**» وجعلوها قبيلة عربية من ولد مهرة بن حيدان من قضاعة، ولا ذكر لهذا الاسم في دواوين أنساب العرب، مثل كتاب «الجمهرة» لابن الكلبي بكل رواياته ـ **وهي**

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٨٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (٢/٢١٢).

الأصل في هذا العلم ـ، ولا في كتب نسابة المغرب ـ **ابن عبد البر وابن حزم** ـ، ولا في تفصيلات بطون حمير عند الهمداني في «إكليله».

وقبل الشروع في رد هذه المغالطات البيّنة الصادرة من الدكتور الفاضل سليمان الذيب، لابدّ من فرشٍ عتبة توضح للقارئ أصلاً عظيماً غفل عنه الكثير من المثقفين، وهو عدم الرجوع إلى أهل الاختصاص، وهذا من أسباب تلك المغالطات التي نسمعها هذه الأيام، ورحم الله دُرة بلاد اليمن الشوكاني القائل في «أدب الطلب» (ص٧٦): **(إن إنصاف الرجل لا يتم حتى يؤخذ كل فن عن أهله كائناً من كان).**

والدكتور سليمان الذيب ـ **عفا الله عنا وعنه** ـ ليس من أهل النسب ولا هو ممن أحتك بكتب هذا العلم ـ **رواية ودراية** ـ، وإنما يُعرف عنه بأنه مُختص بالآثار وما كُتب على الحِجارة، وهو اختصاص لا يؤهله للحكم على الأنساب فهذا له أهله ورجاله، وإنما يؤهله اختصاصه الحكم على أعمار تلك النقوش وطبيعة أحوال تلك الأمة بناء على ما خلَّفوه من آثار، ورحم الله النسابة الأبيوردي القائل في «زاده» (٧٩/١): **(ولكل علمٍ رجال عليهم مداره، وبهم تُكشف غوامضه وتُعرف أسراره).**

والاعتماد على نقوش الحجارة والآثار للحكم على الأنساب يوقع صاحبه بالمغالطات والأوهام، وهذا المسلك سلكه أهل الاستشراق لجهلهم بطرق معرفة الأنساب والمُشتبه منها عند العرب، فقاموا يعتمدون على الحجارة ونقوش الآثار للحكم على أنساب الأمم، فخرجوا بأقوال فاسدة منها: بأن اليمن والحبشة من جنس واحد بناء على مُشابهة كتاباتهم القديمة، وبناء على هذا الفهم السقيم، فإن اللهجات والكتابات المُشتركة بين الدول مثل البُرتغالية تدل على أن سكان هذه الدول من نسب واحد، فهل يُعقل هذا؟

ولقد تنبه إلى هذا الخلط المؤرخ السقاف، فقال في «القول الفصل»: **(والقائل بأن أهل اليمن من الأحباش لمشابهة كتاباتهم القديمة لبعض قبائل**

الحبشة يلزمه القول بأن أصل العبرانيين أيضاً كان حبشياً لمشابهة اللغتين، وكل هذا خطأ)[1].

ولذا نقول: إن نقوش الآثار ليست من مسالك العلماء في معرفة الأنساب، إذا لم توافق شهرة واستفاضة على أنهم من هذه الأنساب، وذلك لجهالة كاتب تلك النقوش، وهل هو ممن يضبط الأنساب؟ ومع ذلك وضعوا لنا ضوابط وشروط للإستئناس ـ **لا أصلاً** ـ بتلك النقوش، ومن هذه الضوابط:

١ ـ أن لا يُعارض ذلك النقش شهرة واستفاضة تلك الأنساب.

٢ ـ أن لا يُعارض ذاك النقش أقوال أهل النسب.

ولبعد الدكتور الفاضل سليمان الذيب عن أصول هذا العلم وقواعده خرج علينا بكلام يردده أهل الاستشراق في مؤلفاتهم، والذين أرادوا الطعن في أنساب العرب ، بنسبتهم للحبشة؛ وذلك لأن أهل الأهواء من المستشرقين يعدون العرب من الجنس الدنئ الأسفل المقارب للجنس الأسود، قال النسابة علوي السقاف في «القول الفصل» (١/ ١١٥): **(وعلماء الطبيعة من الإفرنج لهذا العهد يتعصبون على العرب ويعدونهم من الجنس الدنئ الأسفل الناقص وهو الجنس الأسود).**

والدكتور سليمان الذيب ـ **عفا الله عنا وعنه** ـ يجهل مقاصد علماء الطبيعة من الإفرنج من نسبة العرب للحبشة أو العكس، ولا أظنه يوافقهم على هذا، ولكنه خرج بهذا الكلام الذي قاله بالفيديو المرئي لبعده عن علم النسب ـ **أصوله وقواعده** ـ، ولهذا وجب الرد على كلامه ليستفيد ويستفيد غيره.

وقبل الشروع في الرد على مغالطة الدكتور، فإنني لم أفرد هذه المقالة إلا من باب قول جويرية بن أسماء حين قال: **(كان نافع إذا حدثنا**

---

(١) (١/١١٩).

عن أسلم، يقول: حدثنا أسلم مولى عمر الأسود الحبشي، والله ما أريد عيبه، ولكن بلغني أن بنيه يقولون: إنهم عرب)[١]، وفي هذا الأثر يرد على من زعم بأن الحبشة أصلهم من العرب.

ولنشرع الآن فيما قصدناه من هذه المقالة، فأقول وبالله التوفيق:

قال الدكتور سليمان الذيب ـ غفر الله لنا وله ـ: (الحبشة أصلهم من العرب، وأن اسمها جاء نسبة لقبيلة عربية).

قلت : لم يقل بهذا القول العرب ولا علماء النسب منهم ولا أهل اللغة ولا علماء البُلدان، والعرب من أعلم الناس بالحبشة ـ **أنسابهم وأخبارهم وأحوالهم** ـ ولم نر من قال منهم بأن الحبشة أصلهم من العرب، ولا أن التسمية أصلها من العرب.

وقد خاطب نبينا ﷺ الحبشة بجدهم الأكبر ـ **أرفدة** ـ لما شاهدهم يلعبون في المسجد، قائلاً: (**أمناً بني أرفدة**)[٢]، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (**قيل: هو لقب للحبشة، وقيل: هو اسم جنس لهم، وقيل: اسم جدهم الأكبر**)[٣].

ولفظة: «**بني**» تُفسر بأنهم ولده، قال عمر بن عبد العزيز: (**فإنما بنو الرجل ما ولد**)[٤]، وإليك أقوال أهل النسب والتاريخ في أصل الحبشة ونسبهم:

١ ـ قال ابن إسحاق: (**كوش بن حام بن نوح أبو الحبشة**)[٥].

٢ ـ قال المسعودي: (**الحبشة وهم من ولد حبش بن كوش بن حام**)[٦].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/٣٤٢).
(٢) «صحيح البخاري» (٩٨٧).
(٣) «فتح الباري» (٢/ ٥١٥).
(٤) «تاريخ الرقة» (١٠٢).
(٥) «تاريخ أبي خيثمة» (١٩٣).
(٦) «أخبار الزمان» (٩٠).

٣ ـ قال ابن هشام في «التيجان»: (**الحبشة بنو كوش بن حام**)[١].

٤ ـ قال الحافظ ابن عبد البر: (**قال علي بن كيسان النسابة وغيره من أهل العلم بأيام الناس وأنسابهم: ولد حام بن نوح: قوط بن حام، وقبط بن حام، وكوش بن حام، وكنعان بن حام، ومصر بن حام. . .**)[٢]، وقال: (**والحبشة من ولد حبش بن كوش، وهم أكثر ملوك السودان، وجميع ممالك السودان يعطون الطاعة للحبشة، وهم على دين النصرانية إلى اليوم**)[٣].

قلت: ونقل الحافظ ابن عبد البر قول أهل العلم بالنسب وأيام الناس بأن الحبشة من ولد حبش بن كوش، والعرب بالإجماع من ذرية سام بن نوح.

٥ ـ قال السهيلي: (**الحَبشُ هم: بنو حبشٍ بن كوش بن حام ابن نوح، وبه سُميت الحبشة**)[٤].

قلت: بين الحافظ السهيلي بأن أصل تسمية الحبشة نسبة لحبش بن كوش.

٦ ـ قال ابن الأثير: (**بقية ولد حام بالسواحل من النوبة، والحبشة، والزنج**)[٥]

٧ ـ قال الحافظ الرشاطي: (**الحبشة من ولد حبش بن كوش ابن حام**)[٦].

---

(١) «التيجان» (٦٠).
(٢) «القصد والأمم» (٢٣).
(٣) «القصد والأمم» (٢٤).
(٤) «الروض الأنف» (١/١٣٧).
(٥) «الكامل في التاريخ» (١/٧٥).
(٦) نقلاً عن «المصباح المضي» (٢/١٨) لابن حديدة.

قلت : وهذا الحافظ النسابة الرشاطي ينقل لنا بأن الحبشة نسبة لحبش بن كوش.

٨ ـ قال ابن خلدون: (**فبنو حام بن نوح: الحبش من ولد حبش بن كوش بن حام**)[١]

٩ ـ قال السمعاني: (**سميت الحبشة بحبشة بن حام**)[٢].

قلت : ولم يقل سميت الحبشة بقبيلة من العرب، فتأمل.

٨ ـ قال النووي: (**الحبشة: جيل معروف، ويرجع نسبهم إلى حام بن نوح ـ عليه السلام ـ وهم أكثر الناس، وبلادهم أكثر البلاد**)[٣].

١٠ ـ قال شيخ الربوة: (**وأما حبش، فهو حبش بن كوش بن حام بن نوح، وهم ستة أصناف، أمحرة، ويقال أن النجاشي منهم، والملك في عقبه، وسحرت وجزل وهم حسان الصور، وخومر، ودامرت، وهذه الأجناس أصول تتفرع منها شعوب وقبائل لا تحصى كثرة**)[٤].

١١ ـ قال المقريزي: (**فبنو حام بم نوح بالحبش من ولد حبش بن كوش بن حام**)[٥].

قلت : فالحبشة كلهم من ولد حام ـ **كما تقدم** ـ، ولم يقل أحدهم بأنهم من العرب أو منهم جزء كبير من العرب أو أن مسمى الحبشة يرجع للعرب.

تنبيه: هناك بعض البطون العربية القُحة والتي عُرفت باسم: (**الأحابيش، والحُبش**) ولا علاقة لهم بذاك الجنس الحامي ولا بذاك الإقليم الحبشي.

(١) «تاريخ ابن خلدون» (٢٦٤/٦).
(٢) «الأنساب» (٤٧/٤)
(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢٨٨/٢).
(٤) «نخبة الدهر» (٢٦٨).
(٥) «ديوان المبتدأ والخبر» (٢٦٤/١).

فالأحابيش عرَّفهم ابن إسحاق قائلاً: **(الأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مُدركة، وبنو المصطلق من خزاعة)**[١]، قال البلاذري: **(والأحابيش الذين تحبشوا واجتمعوا وهم: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو نفاثة بن الديل، وبنو الحيا من خزاعة، والقارة من بني الهون من خزيمة)**[٢].

قلت: وقد ضَّلَ علماء الطبيعة من الإفرنج وغيرهم وزعموا بأن اسم «**الأحابيش**» للجنس الأفريقي الذي يسكن مكة المعظمة[٣].

وفي العرب أيضاً: **(بني حبش من عرب اليمن)**، قال أبوبكر بن ابي داود عن أبو سلّام الحبشي: **(ليس من الحبشة، ولكنهم طائفة من خثعم، كان منهم رجل يقال له أبو فلان وكان خثعمياً)**[٤]، و **(بنو حُبشية بن كعب)** من خُزاعة[٥]، ومن الصحابة الكرام من اسمه: **حُبشي بن جنادة السلولي، وحبش بن الحارث السُلمي** أخو هاشم وعبد شمس والمطلب بن عبد مناف لأمهم[٦]، **وحبش بن السباق النخعي، وحبش بن عوف بن ذهل من بني سامة بن لؤي، وحبش بن عادية من هذيل**[٧].

وجبل الحُبشي، قال الأزرقي: **(لم ينسب إلى رجل حبشي وإنما هذا اسم الجبل)**[٨]، وغير ذلك من المواضع التي تعرف باسم حبش و حُبشان في بلاد العرب.

فلا يصح ربط هذه الأسماء بالحبشة الأفريقية، ولا يُقبل أن يقول

(١) انظر: «الروض الأنف» (٣/٢١٣).
(٢) «أنساب الأشراف» (١١/١٣٧).
(٣) انظر رسالتنا «تنبيه الأنام» ـ منشورات دار ابن الجوزي ـ الأردن ـ، ففيه الكثير من مغالطات وأباطيل هؤلاء القوم ومن سلك مسلكهم.
(٤) «الأنساب» (٤/٤٨).
(٥) «نسب معد واليمن» (٢/٤٥٠).
(٦) «المؤتلف والمختلف» (٢/٧٠٢).
(٧) «التبصرة» (١/٤٦٨).
(٨) (٤/١٧٧).

قائل بأن الحبشة الأفريقية أصلها من العرب، وقد تصدى النسابة علوي السقاف لرد هذه الإدعاءات الباطلة فقال في «القول الفصل»: (**ولبعض المتكلمين منهم في التاريخ تعصب قبيح، وقد رأيت من ألف تاريخاً للعرب قبل الإسلام فاستقرب أن يكون أصل اليمن من الحبشة واستدل على ذلك بتقارب أشكال الكتابة الحبشية واليمنية الأولى المعروفة بالمُسند وباتحاد بعض العوائد التي لا يُبنى على مثلها حُكم بين قُطرين متجاورين يحتمل أن يكون كل واحد منهما هو المُتلقي عن أخيه**)[١]، وقال السقاف أيضا: (**والقائل بأن أهل اليمن من الأحباش لمشابهة كتاباتهم القديمة لبعض قبائل الحبشة يلزمه القول أن أصل العبرانيين أيضاً كان حبشياً لمشابهة اللغتين، وكل هذا خطأ**)[٢].

شُبهة:

يستشهد بعضهم بقول الحافظ ابن عبد البر في «القصد والأمم» وهذا نصه: (**والحبشة الذين ببلاد النجاشي يزعمون أنهم من من طيء بن أدد**)[٣]، وقال: (**وقد قيل: أن الحبشة من ولد حبش بن سعد بن طيء**)[٤]، وجوابنا على هذا:

أولاً: ساق الحافظ ابن عبد البر هذه الأقوال في موضع ادعاءات العجم لأنساب العرب بقوله: (**يزعمون**)، أي أنها من ادعاءات بعض الحبشان..

ثانياً: لم أر في رواية ابن حبيب ولا رواية ابن سعد لجمهرة ابن الكلبي من اسمه (**حبش بن سعد**)، وإنما عندهم: (**حيش ـ بالياء ـ بن سعد**)، ولو سلمنا جدلاً بصحة رسم هذا الاسم (**حبش بن سعد**)، فهذا من أسمج الكذب وأقبحه؛ لأن ولد (**سعد بن فطرة**) الذين يُعرفون بأهل

(١) (١/١١٧).
(٢) (١/١١٩).
(٣) (٢٤).
(٤) (٢٤).

السهل، لم يدخلوا الحبشة أصلاً ولا حتى رجعوا لليمن، وإنما انتقلوا كلهم إلى حاضر حلب بالشام، قال عمدة النسابين ابن الكلبي: (**فولد سعد بن فطرة: خارجة، وحيشاً**[١]**، وهم سهليون**)[٢]، وقال: (**والسهليون هم الذين تفرقوا في حرب الفساد، فلحقوا بحاضر حلب**)[٣]، وكذا نقل ذلك نسابة الشام الأسدي في «ديوان العرب»[٤].

وفي الختام:

أقول إن أصحاب هذا القول الباطل من المستشرقين ومن قلدهم لا يرجعون كما قلنا إلى أهل الاختصاص، وإنما يرجعون للظنون والتخمينات بناء على تقارب أشكال الكتابة الحبشية واليمنية، ولا يترتب على هذا التشابه حُكم في قربهما بالنسب، ولا نُنكر دخول بعض بطون العرب في بلاد الحبشة وغيرها من البلدان، ولكن لا تخفى أنسابهم على أهل النسب، وليسوا هم أصل تلك البلاد ولا كانوا سبباً في تسميتها باسمهم.

فالقول بأن الحبشة أصلهم من العرب أو أنها نسبة لقبيلة من العرب، قولاً يُخالف ما اشتهر واستفاض عند العرب بأن الحبشة جنس من ولد حام، ويخالف أقوال أهل النسب والبلدانيين، ولا أظن بأن الدكتور الفاضل سليمان الذيب يُلقي بهذا كله عرض الحائط ويقول قولا لا سلف له فيه من العرب وأهل النسب، وكما قيل: «**من لبس ثوب أطول منه تعثر به** »، وقالوا: «**لا يهلك امرؤٌ عرف قدره**».

وكتبه:
أبو سهل أحمد أبوبكرة الترباني
٩ ـ شعبان ـ ١٤٤٥هـ
الأردن ـ جرش

---

(١) في رواية ابن حبيب: (حيش) وليس (حبش)، وفي رواية ابن سعد
(٢) «الجمهرة» (٧٣/٢).
(٣) «الجمهرة» (٧٣/٢).
(٤) «بغية الطلب» (٧٢٠/١).